ويلقّون فيها تحيّة : وتتلقّاهم الملائكة فيها بالتّحيّة[1] والتّحيّة أن يقال : حيّاك الله، أي جَعَلَ لك حياةً، وذلك إخبار، ثمّ يُجْعل دعاءً[2].

إنّ عباد الرّحمن الّذين تلك نعوتهم سوف يثيبهم الله تعالى يوم القيامة أحسن الثّواب، وسيكونون في الغرفات آمنين، وفي أرفع أمكنة الجنّة مطمئنّين، بسبب صبرهم على الطّاعات والبلاء وعن المعاصي. وفي الجنّة تتلقّاهم الملائكة بالتّحية والقول : حيّاكم الله، أي أبقاكم أحياء، وكتب لكم الحياة السّرمديّة، وبالسّلام، وقد قال عزّ من قائل في ثواب أولى الألباب في سورة الرّعد[3] : ﴿جنّاتُ عَدْنٍ يدخلونها ومن صَلَحَ من آبائهم وأزواجهم وذرّيّاتهم. والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب. سلامٌ عليكم بما صبرتم. فنعم عُقْبَى الدّار﴾.

وإنّ عباد الرّحمن يخلدون في جنّات النّعيم الّتي حَسُنَتْ مكان استقرار، وموضع إقامة.

قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي
لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

قل : يا محمّد[4].

ما يعبأ بكم ربّي : العين والباء والهمزة والحرف المعتلّ غير المهموز أصلٌ واحدٌ يدلّ على اجتماعٍ في ثِقَل. مِنْ العِبْء، وهو كلُّ حِمْل من غُرْمٍ أو حَمالة[5]

(١) تفسير الطّبري ١٩/ ٣٥.

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : « حيي» ١/ ١٨٤.

(٣) الآية ٢٣و٢٤.

(٤) تفسير الطّبري ١٩/ ٣٥.

(٥) الحمالة بفتح الحاء : الدّية والغرامة.

والجمع الأعباء. ومِنْ الباب : ما عبأت به شيئاً إذا لم تبالِه، كأنّك لم تَجِدْ له ثِقْلاً[1] ويقول الزّمخشري[2] : ﴿والدّعاء العبادة. وما متضمّنة لمعنى الاستفهام وهي في محلّ النّصب، وهي عبارةٌ عن المصدر، كأنّه قيل : وأيّ عبءٍ يعبأ بكم لولا دعاؤكم﴾ ويقول أبو حيّان[3] : «والظّاهر أنّ ما نفي، أي ليس يعبأ بكم ربّي لولا دعاؤكم. ويجوز أن تكون استفهاميّة فيها معنى النّفي، أي أيّ عبء يعبأ بكم».

لولا دعاؤكم : لولا عبادة من يعبده منكم وطاعة من يطيعه منكم[4].

فقد كذّبتم : فقد كذّبتم أيّها القوم رسولكم الّذى أرسل إليكم وخالفتم أمر ربّكم الّذى أمر بالتّمسّك به[5].

فسوف يكون لزاماً : فسوف يكون العذاب ملازماً لكم في الآخرة بعد ما يحلّ بكم في الدّنيا[6].

تأمر آخر آيات سورة الفرقان المكّيّة الكريمة المصطفى ﷺ أن يقول لكفّار مكّة: ليس يعبؤ بكم ربّي جلّ وعلا ولا يكترث لولا دعاؤكم إيّاه جلّ وعلا وإفراده بالعبادة وحده لا شريك له. وفي معنى ما النّافية الاستفهام، أي أيّ عبءٍ يعبؤ بكم ربّي لولا دعاؤكم إيّاه وإيمانكم وإفراده بالعبادة. وقد قال عزّ من قائل[7] : ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون﴾.

---

(١) معجم مقاييس اللّغة : «عبأ» ٤/ ٢١٥ وانظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : «عبأ» ٢/ ٤١٦.

(٢) الكشّاف ٢/ ٤١٧.

(٣) البحر المحيط ٦/ ٥١٧.

(٤) تفسير الطّبرى ١٩/ ٣٥.

(٥) تفسير الطّبرى ١٩/ ٣٥.

(٦) الجلالين.

(٧) سورة الذّاريات ٥٦.

ولّما كان كفّار مكّة لم يزدادوا إلاّ عتواً ونفـوراً فقد أُمِرَ عليه الصّلاة والسّلام أن يستمرّ قائلاً : فقد كذّبتم يا أهل مكّة رسولي والكتاب العزيز الّذى أنزلته عليه، وأصررتم على شرككم وصدّكم عن سبيل الله تعالى، فسوف يكون العذاب ملازماً لكم في الأولى والآخـرة، في الأولـى بالهـزيمة والقـتل والهـوان، وفي الآخـرة بالعذاب في النّار وبئس القرار.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

مكّة المكرّمة

صبيحة يوم السّبت ٧/ ٢/ ١٤١٨هـ.

الموافق ٤/ ٤/ ١٩٩٨م.

ثانياً..
سورة الشّعراء

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ
أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ
إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟
بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ
كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ
أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ
إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ
كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ
فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾
وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ
فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا
عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ
﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾
قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ
لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ
أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ
فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ
﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ
لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ
﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۚ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ
أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ
﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب
بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾
ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ
نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟
نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ
تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا
كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ
﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ
يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ
﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾

وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ
يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ
﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ
أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ
أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ
إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾
فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ
قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ
﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ
مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ
عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾
وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾
وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ
لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾
فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟
نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾
أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم
مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾
رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾
وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ
مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ
ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ
مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ
عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾
فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ
فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟
هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ
إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا
لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ
ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ
عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ
مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ
جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي
بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي
يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ
كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾
وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ
يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ
بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

بين يدي التفسير..

(١)

(الكافرون يصرّون على الإعراض عن كلّ آيات الله تعالى المعنويّة والماديّة))

الآيات (١-٩)

تبدأ السّورة الكريمة بالحروف المقطّعة ﴿طسم﴾ وتتحدّث في الآية الكريمة الثّانية عن القرآن الكريم الواضح المعانى البيّن الحجج، وذلك على غرار سائر السّور الكريمة المماثلة الّتي تتحدّث عن القرآن الكريم على الفور أو التّراخى. وإنّ الانتصار للقرآن الكريم في هذه السّور قوّةٌ للرّأي الّذى يذهب إلى أنّ الابتداء بالحروف المقطّعة امتدادٌ للتّحدى بالقرآن الكريم، وكأنّ هذه الحروف المقطّعة تنبّه إلى أنّ كلمات القرآن الكريم مؤلّفةٌ من الحروف الّتى تتألّف منها الكلمات الّتى تجرى على ألسنة العرب ولكنّ القرآن الكريم نسيجُ وَحْدِه.

ولمّا كان المصطفى ﷺ يكاد يقتل نفسه غمّاً بسبب إعراض قومه عليه الصّلاة والسّلام عنه، فإنّ السّياق ينهاه في إشفاقٍ عن ذلك ويبيّن له أنّما عليه البلاغ وحده، وقد فعل عليه الصّلاة والسّلام ذلك، ولله الأمر من قبل ومن بعد. وإذا كان أهل مكّة قد أعرضوا عن القرآن الكريم، معجزة المصطفى ﷺ الكبرى البيانيّة وهم أئمّة البيان، فذلك دليلٌ على أنّ القوم لا تنقصهم الحجّة، إنّما هم متعنّتون. ولمّا كان ربّ العزّة والجلال أراد للنّاس أن يؤمنوا اختياراً لا اضطراراً فإنّه جلّ وعلا لم يشأ أن ينزّل على الكافرين آيةً ماديّةً محسوسةً تضطرّهم إلى الإيمان اضطراراً، ويخضعون من أجلها، وتذلّ لها أعناقهم. وتظلّ آي الذّكر الحكيم تنزل تباعاً، ويزداد الكافرون عتوّاً واستكبارا، ويضيفون إلى التّكذيب الاستهزاء بالعذاب. وإنّ

السّياق ليهدّدهم بالعذاب الّذى سيأتيهم عاجلاً أو آجلا. ومن ألطف ما يمكن الإشارة إليه بشأن القول : ﴿فسيأتيهم﴾ أنّه يجمع بين حرف السّين الّذى يدلّ على المستقبل القريب، وبين جملة «أتى» الّتى تستعمل في القرآن الكريم دليلاً على البعد، والمراد هنا البعد الزّماني. ويصحّ أن يقال، والله تعالى أعلم، إنّ حرف السّين يشير في المقام الأوّل إلى عذاب الدّنيا المحتمل، ووقت ذلك العذاب قريب. ووراء ذلك : كلّ آتٍ قريب، ومن مات فكأنّما قامت قيامته. كما يصحّ أن يقال إنّ جملة : ﴿يأتيهم﴾ تشير إلى عذاب الآخرة الأكيد، إن لم يتب الكافرون إلى الله تعالى توبةً نصوحا. ووقت عذاب الآخرة بطبعه متأخّرٌ عن وقت عذاب الدّنيا.

ولمّا كان الكافرون يستبعدون وجود القدرة على عودة الحياة إليهم يوم القيامة بعد أن ماتوا وكانوا عظاماً ورفاتاً فإنّ السّياق في سبيل لفت الانتباه إلى القدرة المطلقة لله سبحانه وتعالى يلفت انتباه الكافرين إلى الأرض الميتة الّتي يحييها الله تعالى بالماء فتنبت من كلّ زوجٍ كريمٍ من النّبات ونوع بديعٍ. إنّ في ذلك الإحياء للأرض والإخراج للنّبات الّذى يملأ العين لذّةً والنّفس بهجةً، لآيةً كبرى تحمل النّاس على الإيمان بالله تعالى الّذى له وحده دون سواه الخلق والأمر، ولكنّ أكثر النّاس لا يؤمنون. وإنّ ربّك يا محمّد ويا أيّها الإنسان لهو العزيز الّذى لا يعجزه شيء، ومن ذلك تعذيب الكافرين، الرّحيم الّذى وسعت رحمته كلّ حيّ وشيء، والّذى كان دائماً وأبداً رحيماً بالمؤمنين.

ويصح أن يقال إنّ الآية الكريمة : ﴿إنّ في ذلك لآيةً وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ تهديدٌ للكافرين. كما يصحّ أن يقال إنّ الآية الكريمة : ﴿وإنّ ربّك لهو العزيز الرّحيم﴾ تسليةٌ للمصطفى ﷺ وتثبيتٌ لفؤاده عليه الصّلاة والسّلام. ويلاحظ أنّ هاتين الآيتين الكريمتين، الثّامنة والتّاسعة قد جاءتا معاً في السّورة الكريمة في الآيات الكريمات التّاليات، ٦٧, ٦٨و١٠٣, ١٠٤و ١٢١, ١٢٢و١٧٤, ١٧٥و ١٩٠و١٩١. وكذلك جاءت الآيتان الكريمتان معاً في موضعين آخرين في السّورة الكريمة مع زيادةٍ في الآية الكريمة الأولى منهما. وهذان

الموضعان هما الآيتان الكريمتان ١٣٩و١٤٠. قال تعالى: ﴿فكذّبوه فأهلكناهم. إنّ في ذلك لآيةً وما كان أكثرهم مؤمنين. وإنّ ربّك لهو العزيز الرّحيم﴾ والآيتان الكريمتان ١٥٨, ١٥٩. قال تعالى: ﴿فأخذهم العذاب. إنّ في ذلك لآيةً وما كان أكثرهم مؤمنين. وإنّ ربّك لهو العزيز الرّحيم﴾.

(٢)

((نجاة موسى عليه السّلام وبنى إسرائيل وغرق فرعون وآله وجنده))

الآيات (١٠-٦٨)

إذا كان في الآيتين الكريمتين الأخيرتين في القسم السّابق تسليةٌ للمصطفى ﷺ وتثبيتٌ لفؤاده عليه الصّلاة والسّلام أساساً، للمؤمنين تبعاً، فإنّ هذا القسم التّالي يقوّى كلاًّ من التّسلية والتّثبيت. إنّ السّياق يتحوّل إلى الحديث عن موسى عليه السّلام وملابسات الدّعوة الموسويّة ومعاناة موسى عليه السّلام وبنى إسرائيل من فرعون وملئه وجنده. ما أكثر أوجه الشّبه بين ملابسات الدّعوتين المحمّديّة والموسويّة، ثمّ إنّ كلاًّ من الرّسولين أحد أولى العزم من الرّسل الخمسة، وهم نوحٌ وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد، صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين. وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السّلام التّوراة، وأوحى إلى محمّدٍ ﷺ القرآن الكريم. وحينما يُغْرِق الله تعالى فرعون وملأه وجنده وينجّى موسى عليه السّلام وبنى إسرائيل، فإنّ في ذلك بشارةً بالنّصر المبين، لمحمّد ﷺ وللفئة القليلة العَدَد آنذاك من المؤمنين.

وإذا كانت آخر آيات القسم السّابق قد جاء فيها القول: ﴿ربّك﴾ خطاباً للمصطفى ﷺ، فإنّ هذا القول ذاته يأتي في أولى آيات هذا القسم، تأكيداً

للحرص على تسلية المصطفى ﷺ وتثبيت الفؤاد. إنّ السّياق يقول : واذكر يا محمّد إذ نادى ربّك الّذى ربّاك بنعمه موسى عليه السّلام بأن يذهب إلى القوم الظّالمين وأن يأتي فرعون وملأه وجنده، وأن يدعوهم إلى صراط العزيز الحميد حتّى يبلغوا مرتبة التّقوى، وهي الوجه الآخر للإحسان بأن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك. ومع أنّ فرعون رمز الكفر والطّغيان في كلّ عصر ومصر فإنّ السّياق يحثّ القوم على بلوغ مرتبة التّقوى، وذلك معناه أنّ من الطّغاة من يصحّ أن يتوب ويتوب الله تعالى عليه ويبلغ مرتبة التّقوى. قال موسى عليه السّلام يا ربّى إنّى أخاف أن يكذّبونى، وأخشى أن يضيق صدرى لتكذيبهم فأموت أسفاً وغمّاً قبل أن يجيء نصرك ووعدك الحقّ بالفتح المبين، وأخشى ألاّ ينطلق لسانى بالدعوة إلى صراطك المستقيم كما ينبغى أن تكون الدّعوة، رغم أنّك يا ربىّ قد أنعمت علىّ فحللت عقدةً من لسانى كي يفقه من أدعوهم إليك قولى. اللّهمّ اجعل أخى هارون شريكاً لي في الرّسالة، فأرْسِلْ إليه جبريل عليه السّلام بالوحي، كى يكون عوناً لي على حمل الأمانة، وعلى تبليغ الرّسالة، فإنّه أفصح منىّ لسانا. ثمّ إنّ لفرعون وملئه ذنباً علىّ بسبب قتلي رجلاً منهم، فأخاف أن يقتلوني قصاصاً. قال الله تعالى، ليس الأمر كما ذكرت يا موسى، إنّهم لن يستطيعوا قتلك فاذهب أنت وأخوك هارون الّذى بعثته رسولاً معك بآياتي البيّنات وبمعجزاتى الّتى أيّدتك بها الواضحات، إنّا معكم بعلمنا وقدرتنا مستمعون لكلّ ما يقولون محيطون بكلّ ما يفعلون. اذهبا إلى فرعون وائتياه وقولا له إنّا رسولان إليك من ربّ العالمين، بأن ترسل معنا بنى إسرائيل، وتطلقهم من إسارك، وترفع عنهم ظلمك لهم.

ويمتثل موسى وهارون عليهما السّلام أمر ربّهما عزّ وجلّ ويدعوان فرعون طاغية مصر. وها هو ذا موسى عليه السّلام يسأله فرعون في أسلوب الاستفهام الإنكاريّ : ألم نربّك فينا وليداً، وننشّئك في نعمتنا صغيراً، ولبثت فينا من عمرك سنين عدداً حتّى بلغت مبلغ الرّجال، وفعلت فعلتك الّتي فعلتَ وعرفتَ بقتلك

رجلاً من قومي ظلماً وعدواناً، وأنت من الكافرين نعمتي الجاحدين فضلي. قال موسى عليه السّلام : قد فعلت تلك الفعلة حينئذٍ وأنا من الضّالّين الجاهلين أنّ ذلك لا يحقّ لي، وقبل أن يأتيني من الله تعالى وحيٌ بتحريم قتله عليّ. ففررت منكم لمّا خفتم أن تقتلوني، فوهبني الله تعالى علماً ونبوّةً، وجعلني من المرسلين منه إلى النّاس. وإنّ تربيتك يا فرعون لي وعدم استعبادك لي نعمةٌ تمنّها عليّ وقد استعبدت يا فرعون بني إسرائيل، فجعلتهم عبيداً لك، تسومهم الخسف، وتقتّل أبناءهم، وتبقي نساءهم أحياء للخدمة والامتهان!

ولمّا كان فرعون قد زعم أنّه ربّ قومه الأعلى فإنّه في أسلوب الاستفهام عن المجهول، تغافلاً منه وخبثاً، يجيء على لسانه القول : ﴿وما ربّ العالمين﴾ إنّ فرعون يتظاهر بأنّه لا يعرف شيئاً عن ربّ العالمين ربّ كلّ شيءٍ وحيّ، لذا هو يستعمل : «ما» أداة الاستفهام عن المجهول. قال موسى عليه السّلام : ربّ العالمين هو ربّ السّماوات والأرض وما بينهما. إنّكم إن كنتم موقنين أنّ ما ترون من هذا الملك العظيم حقّاً فأيقنوا أنّ ربّ كلّ هذا الملك العظيم الله تعالى ربّ العالمين فأفردوه بالعبادة وحده دون سواه.

ويلتفت فرعون إلى الملأ حوله من البيّغاوات ويسألهم في أسلوب الاستفهام الإنكاري : ﴿ألا تستمعون﴾ ألا تتدبّرون هذا الكلام غير المقبول والمعقول الّذي يتفوّه به موسى.

وبما أنّ فرعون قد حوّل سؤاله إلى الملأ من قومه فإنّ موسى عليه السّلام يلتفت هو الآخر إلى الملأ ويجري على لسانه ما يزيد المعنى وضوحاً ويزيل الشكوك الّتي حرص فرعون على رسوخها. إنّ ربّ العالمين هو ربّكم أيّها الملأ خالقكم ومربّيكم بنعمه، وربّ آبائكم وأجدادكم الأوّلين السّابقين.

ويواصل فرعون مخاطبة الملأ ويتّهم موسى عليه السّلام الّذي يزعم أنّ الله تعالى أرسله إليهم بالجنون.

ويواصل موسى عليه السّلام مخاطبة الملأ، ويبيّن بعض مظاهر قدرة ربّ

العالمين ربّ المشرق والمغرب وما بينهما، ويردّ تهمة الجنون إلى فرعون وملئه. إنّهم إن كانوا عاقلين يؤمنون بأنّ ربّ العالمين هو ربّ المشرق والمغرب وما بينهما وإلاّ فإنّهم هم المجانين حقّا.

ويخصّ فرعون موسى عليه السّلام بالحديث، ويقشع برقع الحياء، ويهدّد موسى عليه السّلام بأنّه إن اتّخذ إلهاً يعبده غير فرعون الطّاغية فإنّه سيجعل موسى عليه السّلام من المسجونين الخارجين عن طاعته العاصين، وليس موسى إذن سوى شخصٍ واحدٍ من بين أولئك العاصين!.

قال موسى عليه السّلام في أسلوب الاستفهام الإنكاريّ: أتجعلني من المسجونين إن اتّخذت إلهاً غيرك ولو جئتك يا فرعون فعلاً بسلطانٍ مبين وحجّةٍ ناطقةٍ بأنّي رسول ربّ العالمين. ويلاحظ أنّ جملة: ﴿جاء﴾ تدلّ في القرآن الكريم دائماً وأبداً على القرب.

ولمّا كان فرعون يستبعد أن يأتي موسى عليه السّلام بآيةٍ بيّنة ومعجزةٍ واضحة دليل صدقه عليه السّلام ويتمنّى ألاّ يستطيع أن يأتي موسى عليه السّلام بهذه الآية الدّالّة على صدقه فإنّ فرعون يجيء على لسانه جملة: ﴿فأت به﴾ من الآية الكريمة: ﴿قال فأت به إن كنت من الصّادقين﴾ والمعروف أنّ جملة: ﴿أتى﴾ تدلّ في القرآن الكريم دائماً وأبداً على البعد.

وألقى موسى عليه السّلام عصاه فإذا هي ثعبانٌ مبينٌ عن حقيقته وشدّة بطشه، وكان ذلك مفاجئاً لفرعون وملئه، وقد أفادت: ﴿إذا﴾ هذه المفاجأة. وإنّ الشّيء ذاته يقال عن آية اليد الّتي يدخلها موسى عليه السّلام من الجيب، أي فتحة القميص المقطوعة من الأمام لإدخال المرء رأسه فيها حين يلبس القميص وإخراجه منها حين ينزعه، إنّ يد موسى عليه السّلام تدخل من الجيب، وهو من الجوب بمعنى القطع، حتّى تصل الكفّ إلى الإبط ويضغط موسى عليه السّلام على يده وكفّه بجناحه وجانبه، ويخرج يده فتخرج بيضاء للنّاظرين كضياء الشّمس من غير مَرَضٍ ولا برص.

ويلاحظ أنّ لآية العصا شقاً آخر مسكوتاً عنه وذلك حينما تعود العصا إلى حالها بعد أن يمسك موسى عليه السّلام بالحيّة أو الثّعبان. كما يلاحظ أنّ لآية اليد شقّاً آخر مسكوتاً عنه وذلك حينما يريد موسى عليه السّلام ليده البيضاء أن تعود إدماء كما كانت فيكرّر عليه السّلام العمليّة السّابقة ذاتها. لقد ذكرت سورة طه وَحْدَها آية العصا بشقّيها في الآيات الكريمات من التّاسعة عشرة إلى الحادية والعشرين. كما ذكرت سورة القصص وَحْدَها آية اليّد بشقّيها في الآية الكريمة الثّانية والثّلاثين.

قال فرعون للملأ حوله إنّ هذا الرّجل الّذى ألقى عصاه ونزع يده لساحرٌ عليمٌ بأدقّ فنون السّحر. ويلاحظ في هذه المرّة الأخرى الّتى يلتفت فيها فرعون إلى ملئه مجيء القول: ﴿حوله﴾ في الآية الكريمة: ﴿قال للملأ حوله إنّ هذا لساحرٌ عليم﴾ وكأنّ فرعون قام في أثناء خطابه الملأ بحركة دائريّة شبه كاملة كي يشملهم خطابُهُ لهم أجمعين، دليلاً على فرط انزعاجه وحاجته الملحّة للعون من ملئه وجنده. ويحرص فرعون على إهاجة الملأ ضدّ موسى عليه السّلام فيزعم أنّ موسى عليه السّلام يريد بسحره أن يخرجهم من أرضهم وأن يحلّ هو وقومه بنو إسرائيل والمؤمنون به محلّهم عن طريق الاستحواذ على النّاس بسحره العظيم. وبعد أن أوحى فرعون للملأ ما يقولون ويفعلون تحقيقاً لهدفه الدّنيء هو يسأل في دهاء كما جاء في الآية الكريمة: ﴿فماذا تأمرون﴾.

قال الملأ لفرعون أخّر موسى وأخاه ريثما تبعث رسلك في مدن مصر وكلّ الأقاليم كي يجمعوا لك ويأتوك بكلّ ساحرٍ عليمٍ بفنون السّحر كي يغلبوا موسى وأخاه. وفعل فرعون ما أشار به الملأ. وجُمِعَ السّحرة للوقت المضروب لمبارزة موسى عليه السّلام في يوم العيد والزّينة المعلوم لشهرته بين النّاس ولاتّخاذه وقتاً للمبارزة. وقال بعض النّاس لبعضهم الآخر: هل أنتم مجتمعون لحضور المباراة، لعلّنا نتّبع السّحرة إن كانوا هم الغالبين موسى وأخاه. ويلاحظ أنّ النّاس يعلنون الاستعداد لاتّباع السّحرة وليس لاتّباع الحقّ مع أيٍّ من الفريقين.

ولمّا كان السّحرة الّذين استعان بهم فرعون أصحاب منافع ومصالح وليسوا أصحاب مبادىء وقيم فإنّهم سألوا فرعون : هل لنا مِنْ أجرٍ إن كنّا نحن الغالبين موسى وأخاه. قال فرعون نعم لكم المال الكثير إن كنتم الغالبين ولكم وراء ذلك المكانة الرّفيعة عندى والجاه العريض.

ويتجاوز السّياق الحوار الّذى دار بين موسى عليه السّلام والسّحرة، اكتفاءً بما جاء في غير هذه السّورة الكريمة من حوار كالآيتين الكريمتين الخامسة والسّتّين والسّادسة والسّتين من سورة طه، والآيتين الكريمتين الخامسة عشرة بعد المائة والسّادسة عشرة بعد المائة من سورة الأعراف.

ويأمر موسى عليه السّلام السّحرة بأن يلقوا ما يريدون إلقاءه من حبالٍ وعصيّ وقالوا بعزّة فرعون وعظمته إنّا لنحن الغالبون بسحرنا العظيم موسى وهارون. فألقى موسى عليه السّلام عصاه فإذا هي ثعبانٌ يبين عن حقيقته لفرعون وملئه بشكله المخيف، وحجمه الكبير، وبطشه الشّديد. إنّ عصا موسى عليه السّلام تتحوّل بإذن الله تعالى حيّةً تبتلع ما أتى السّحرة من إفكٍ وكذبٍ وسحرٍ لا حقيقة له.

ولمّا كان السّحرة أخبر النّاس بحقيقة الفرق بين سحرهم ومعجزة موسى عليه السّلام فإنّهم تجاه إدراكهم حقيقة موسى عليه السّلام وأنّ الله تعالى قد جعل العصا إحدى الآيات الّتى أيّده عزّ وجلّ بها وجدوا أنفسهم مدفوعين بقوّةٍ قاهرةٍ خفيّة تحملهم على السّجود لله ربّ العالمين، وقد أشير إلى تلك القوّة بصيغة المبنيّ للمجهول : ﴿فأُلْقِي السّحرة ساجدين﴾ وأعلنوا أمام فرعون والنّاس إيمانهم بربّ العالمين، ربّ موسى وهارون عليهما السّلام. وهكذا تحوّل السّحرة بإرادة الله تعالى فوراً من الكفر إلى الإيمان، ومن جيش فرعون إلى جيش الرّحمن.

وتثور ثائرة فرعون الّذى أخزاه الله تعالى بهزيمة السّحرة، وينكر على السّحرة إيمانهم لموسى قبل أن يعطيهم الإذن بالإيمان، كما ينكر إذعانهم واستسلامهم له، ويتهمهم بأنّ موسى عليه السّلام كبيرهم الّذى علّمهم السّحر،

وبأنّ انهزامهم أمام موسى أمرٌ قضي بليل ومؤامرةٌ دبّرت في الخفاء فسوف يعلم السّحرة فعل فرعون بهم وعذابه لهم. إنّه سوف يقطع مِنْ خلاف أيديهم وأرجلهم، بقطع اليد اليمنى والرّجل اليسرى مَثَلاً وبالعكس، إن هم أصرّوا على الإيمان بموسى. وبعد قطع أيديهم وأرجلهم لن يحسم فرعون جروحهم بل يتركها تنزف حتّى ينقطع الدّم ويموتوا ثمّ ليصلّبنهم على جذوع النّخل كي يكونوا عبرةً لغيرهم من الّذين يجرءون على إعلان الإيمان بالله تعالى ربّ العالمين ربّ موسي وهارون!.

ويربط الله تعالى على قلوب مؤمنى السّحرة، ويقولون لفرعون الطّاغية علانيّةً وعلى رءوس الأشهاد : لا ضرر علينا من كلّ ما تفعله بنا في سبيل الله تعالى. إنّا ـ حتماً ـ إلى ربّنا جلّ وعلا راجعون. ويسألون الله تعالى أن يغفر ذنوبهم بسبب أنهم أوّل مؤمنى زمانهم. وفعل فرعون كلّ ما هدّد به السّحرة، وازداد سَوْمُهُ بنى إسرائيل الخسف، وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السّلام بأن يَسْرِي بعباده من بنى إسرائيل ويذهب بهم ليلاً في خفاء، فإنّ فرعون وجنده سيتبعونهم ويحاولون إدراكهم والتنكيل بهم.

وفعل موسى عليه السّلام ما أمره الله تعالى به، فأرسل فرعون في مدنه وجميع أنحاء مملكته رسلاً يجمعون له الجند، وفي الوقت ذاته يحقّرون من شأن بنى إسرائيل بقيادة موسى عليه السّلام. إنّ هؤلاء لطائفةٌ قليلة العدد هيّنة الخطر، ولكنّهم يأتون ما يغيظنا. ونحن جميعاً على أتم اليقظة والاستعداد لهم.

وأخرج الله تعالى فرعون وملأه وجنده من حدائق ذات بهجة، وعيونٍ متدفّقة، وأموالٍ كثيرة، وأماكن عزيزة. إنّ الشّأن كما قصّ القرآن الكريم الكتاب العزيز الّذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد. وأورث الله تعالى بنى إسرائيل مثل تلك الجنّات والعيون والكنوز والمكان والمكانة في بلاد الشّام. وإذا صحّ أنّ بنى رسرائيل بقوا في مصر فإنّهم ورثوا فرعون وملأه وجنده كلّ تلك النّعم، كما ورثها الّذين ذهبوا إلى بلاد الشّام.

واجتهد فرعون وجنده في مطاردة موسى عليه السّلام وبنى إسرائيل حتّى أدركوهم صباحاً وقت شروق الشّمس في أحد الأيّام. فلمّا رأى كلٌّ من الجمعين الآخر رأي العين قال أصحاب موسى عليه السّلام إنّا لمُدْرَكون، لأنّ البحر أمامنا وها هو ذا العدوّ وراءنا. قال موسى عليه السّلام وكلّه ثقةٌ في الله تعالى واطمئنان : كلاّ، ليس الأمر كما تقولون، إنّهم لن يدركونا، وإنّ معي ربيّ جلّ وعلا بالنّصر والتّأييد، وإنّه سوف يهدينى سواء السّبيل.

فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السّلام بأن يضرب بعصاه البحر الأحمر الّذى يُسَمَّى بحر القُلْزُم فضرب فانفلق البحر اثني عشر طريقاً بعدد أسباط بنى إسرائيل، وكانت كلّ طائفة من الماء تفصل بين الطّرق وتحيط بها كالجبل العظيم ضخامةً وارتفاعا. وقرّب الله تعالى الآخرين فرعون وملأه وجنده حتّى تبعوا في البحر موسى عليه السّلام وبنى إسرائيل، وأنجى عزّ وجل موسى عليه السّلام ومن معه من بنى إسرائيل إلى برّ الأمان دون أن تبتل لواحد منهم قدم، ثمّ أغرق الله تعالى الآخرين، فرعون وملأه وجنده، بأن أطبق عليهم ماء البحر، فماتوا أجمعين، ومضوا كأمس الدّابر، وقيل : الحمد لله ربّ العالمين.

إنّ في إنجاء الله تعالى موسى عليه السّلام وبنى إسرائيل، وإغراق الله تعالى فرعون وملأه وجنده لآيةً عظيمةً دالّةً على قدرة الله تعالى المطلقة، وما كان أكثر أهل مكّة مؤمنين، رغم حرصك يا محمّد على إيمانهم. وإنّ ربّك يا محمّد هو العزيز في ملكه، الرّحيم الّذى وسعت رحمته كلّ شيءٍ وحيّ.

(٣)

((إبراهيم عليه السّلام يدعو إلى توحيد الله تعالى، وثواب المتّقين، وعقاب الغاوين))

الآيات (٦٩-١٠٤)

من أهداف المكّيّ من القرآن ترسيخ أسس العقيدة. وكان في القسم السّابق حديثٌ عن موسى عليه السّلام وملابسات الدّعوة الموسويّة بسبب أوجه الشّبَه

الكبيرة بين ملابساتها وملابسات الدّعوة المحمّديّة. وفي قَصّ ما جرى لموسى عليه السّلام، وهو أحد أولى العزم من الرّسل تثبيتٌ لفؤاد المصطفى ﷺ. وفي هذا القسم يتحوّل الحديث إلى إبراهيم عليه السّلام أبى الأنبياء وبعض معاناته عليه السّلام مع أبيه وقومه. وإبراهيم عليه السّلام أحد أولى العزم من الرّسل، وقد أوحى الله تعالى إليه بالصّحف كما أوحى إلى موسى عليه السّلام بالتّوراة ومحمّدٍ ﷺ بالقرآن الكريم. وكما تهدف قصّة إبراهيم عليه السّلام مع قومه إلى تثبيت فؤاد المصطفى ﷺ تهدف إلى إنذار كفّار مكّة وتخويفهم من مصير المكذّبين المجرمين إلى النّار وبئس القرار، بدليل ابتداء الحديث عن إبراهيم عليه السّلام بأمر المصطفى ﷺ أن يتلو على قومه نبأ إبراهيم عليه السّلام بتلاوة هذه الآيات الكريمات.

يأمر الحقّ جلّ وعلا محمّداً ﷺ أن يتلو على أهل مكّة من المشركين نبأ إبراهيم عليه السّلام أبى الأنبياء مع أبيه وقومه المشركين بقصد أن يتّعظوا ويرعووا إلي سبيل الرّشاد. إنّ إبراهيم عليه السّلام الّذى آتاه الله تعالى رشده وهو صغير السّنّ يسأل أباه وقومه المشركين في إنكار : أيّ شيءٍ تعبدون! قالوا نعبد أصناماً فنظلّ لها عاكفين على خدمتها، مداومين على دعائها. قال إبراهيم عليه السّلام : هل يسمعونكم حين تدعونهم وهل يستجيبون لكم؟ وهل ينفعونكم حينما تعبدونهم وهل يضرّونكم حينما تهجرونهم؟ قالوا : إنّهم لا يسمعوننا ولا ينفعوننا ولا يضرّوننا ولكنّا وجدنا آباءنا يفعلون مثل ذلك، وإنّا على آثارهم مهتدون ومقتدون. قال إبراهيم عليه السّلام : أفرأيتم ما تعبدون وما كان يعبد آباؤكم وأجدادكم الأوّلون، فإنّهم عدوٌّ لى لا أعبدهم، إلاّ ربّ العالمين وخالق هذا الكون ومدبّره فإنىّ أعبده وحده لا شريك له.

إنّ ربّي جلّ وعلا هو الذى خلقنى وأوجدنى من العدم وهداني الصّراط المستقيم وهيّأنى وسخّرنى للدّور المنوط بى وهو إخلاص العبادة لله تعالى ربّ العالمين وحده لا شريك له، وتسخير كلّ نعم الله تعالى عليّ في ترسيخ دعائم

التّوحيد. والله تعالى هو الّذى يطعمنى إذا جعت، ويسقينى إذا ظمئت. وإذا مرضت فإنّه هو الّذى يشفينى وحده دون سواه. وإذا قضى عليّ الموت فإنّه هو الّذي يميتنى. ويوم القيامة هو الّذى يحيينى ويبعثنى للحساب والجزاء. والله تعالى وحده دون سواه هو الّذى أطمع أن يغفر لي خطيئتى يوم الجزاء على الأعمال الّتى يقوم بها الخلق في الحياة الدّنيا.

ويدعو إبراهيم عليه السّلام ربّه عزّ وجلّ أن يهبه علماً ونبوّةً وأن يتفضّل عليه عزّ وجلّ بإلحاقه بالصّالحين المنعم عليهم من المرسلين والنّبيّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين. وقد أكرم الله تعالى إبراهيم عليه السّلام بأرفع الدّرجات، فهو رسول الله تعالى، وهو أحد أولى العزم من الرّسل، وهو خليل الله تعالى، وهو أبو الأنبياء، فكلّ الأنبياء بعده من ذرّيّته عن طريق إسحاق عليه السّلام، وكلّ أنبياء بنى إسرائيل من ذرّيّته عليه السّلام عن طريق ابنه يعقوب أو إسرائيل عليه السّلام، وعن طريق الابن الآخر لإبراهيم عليه السّلام وهو إسماعيل عليه السّلام. إنّ محمّد بن عبد الله ﷺ، خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين، هو النّبيّ الوحيد من ذرّيّة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السّلام. إلى غير ذلك من النّعم الّتى خصّ الله تعالى بها إبراهيم عليه السّلام والّتى لا تُحْصَى.

ويدعو إبراهيم عليه السّلام ربّه عزّ وجلّ أن يجعل له لسان صدق في الآخرين وذكراً حسناً وثناءً جميلاً على ألسنة أمم التّوحيد. وقد استجاب الله تعالى دعاء إبراهيم عليه السّلام. إنّ ربّ العزّة والجلال يأمر محمّداً ﷺ أن يتّبع ملّة إبراهيم الحنيفيّة السّمحاء، ثمّ إنّ اليهود تورّطوا في الزّعم بأنّ إبراهيم عليه السّلام كان يهودياً، وإنّ النّصارى تورّطوا في الزّعم بأنّه عليه السّلام كان نصرانياً، مع العلم، بنصّ القرآن الكريم، أنّ التّوراة والإنجيل لم ينزلا على موسى وعيسى عليهما السّلام إلاّ من بعد إبراهيم عليه السّلام. إنّ فرط الحبّ لإبراهيم عليه السّلام دفعهم إلى ذلك الزّعم.

ويدعو إبراهيم عليه السّلام ربّه عزّ وجلّ أن يدخله جنّات النّعيم، وأن

بجعله يرث في الجنّة المنازل الّتى كانت مخصّصة لأولئك الّذين سبق عليهم الكتاب فعملوا بعمل أهل النّار فدخلوها وخلت منازلهم في الجنّة. ولا ينسى إبراهيم عليه السّلام الحليم الأوّاه المنيب أباه آزر الّذى وعده بأن يسلم لله تعالى ربّ العالمين فدعا الله تعالى أن يغفر له. وحينما تبيّن إبراهيم عليه السّلام أنّ أباه لم يفارق ضلاله تبرّأ منه. كما دعا إبراهيم عليه السّلام ربّه عزّ وجلّ ألاّ يخزيه وألاّ يفضحه يوم يبعث الله تعالى عباده للحساب والجزاء، الثّواب أو العقاب.

وفي يوم القيامة لا ينفع الإنسانَ مالٌ ولا بنون. لكن ينفعه، بإذن الله تعالى، قلبه السّليم من الشّرك ومن كلّ الأمراض المعنويّة.

ويتحوّل السّياق إلى الحديث عن ثواب المتّقين وعقاب الغاوين. إنّ الجنّة تُقَرَّب يوم القيامة من المتّقين. وإنّ نار جهنّم تظهر للمجرمين. وفي ذلك الموقف العصيب يقال للكافرين على سبيل الاستهزاء: أين الآلهة الّتى كنتم تعبدونها من دون الله تعالى؟ هل ينصرونكم وينقذونكم من هذا العذاب أو ينتصرون وينقذون أنفسهم؟ لقد كُبّ أولئك الغاوون على وجوههم، ورُمِى بهم إلى قاع الجحيم، واستمرّ تقلّبهم على وجوههم حتّى استقرّوا في الدّرك الأسفل من النّار. وقد عومل بالطّريقة ذاتها الغاوون من المتبوعين وأتباع إبليس اللّعين من الجنّ والإنس. إنّ أولئك التّابعين والمتبوعين حينما ينالون عقابهم يشتدّ خصامهم ويقول العابدون للمعبودين والله إنّا كنّا لفى ضلالٍ مبين حين نسوّيكم في العبادة بالله تعالى ربّ العالمين. وما أضلّنا عن سواء السّبيل إلاّ المجرمون من السّادة والكبراء. فما لنا في هذا اليوم المهيب من شافعين يشفعون لنا ومن أصدقاء وأقرباء يتألّمون لعذابنا ويتعاطفون معنا. إنّا لو كانت لنا عودةٌ إلى الحياة الدّنيا لكنّا مؤمنين وعملنا غير الّذى كنّا نعمل وهيهات فقد فات أوان العمل ولم يبق سوي الجزاء في يوم القيامة.

إنّ في ذلك المصير الأليم للكافرين وفيهم قوم إبراهيم عليه السّلام لآيةً دالّةً على قدرة الله تعالى المطلقة، وعلى صدق محمّد بن عبد الله ﷺ. وما كان أكثر

أهل مكّة مؤمنين رغم كلّ هذه الآيات البيّنات. وإنّ ربّك يا محمّد هو العزيز في ملكه القادر على أخذ الكافرين أخذ عزيزٍ مقتدر، الرّحيم الّذى وسعت رحمته كل شيءٍ وحيّ وبخاصّةٍ المؤمنون.

(٤)

((نجاة نوحٍ عليه السّلام وأصحاب السّفينة وغرق الباقين))

الآيات (١٠٥-١٢٢)

من صميم أهداف سورة الشّعراء المكّيّة الكريمة تثبيت فؤاد المصطفىﷺ وأفئدة الفئة المؤمنة القليلة العدد آنذاك، ومن هنا كان المحور الّذى يدور حوله الحديث عن الأقوام الّذين أهلكهم الله تعالى هو تكذيبهم رسل الله تعالى إليهم. ومن أوضح الأدلّة على ذلك ابتداء الحديث عن بعض أولئك الأقوام بجملة : ﴿كذّبت﴾ أو: ﴿كذّب﴾ لقد كان الحديث عن قوم موسى عليه السّلام الّذى تتشابه ملابسات دعوته عليه السّلام بملابسات دعوة محمّد بن عبد الله ﷺ، ثمّ كان الحديث عن قوم إبراهيم عليه السّلام الّذى بعث الله تعالى محمّد بن عبد الله ﷺ بالنسخة الأخيرة الكاملة من حنيفيّته السّمحة حنيفيّة إبراهيم عليه السّلام. ثمّ كان التّحوّل في الآيات الكريمات الّتى نحن بصددها إلى الحديث عن قوم نوحٍ عليه السّلام لأنّه عليه السّلام أوّل رسولٍ أرسله الله تعالى إلى النّاس.

يقرّر السّياق تكذيب قوم نوحٍ عليه السّلام له عليه السّلام حين دعاهم إلى توحيد الله تعالى وحثّهم على الارتقاء إلى مرتبة التّقوى. لقد بيّن عليه السّلام لقومه أنّه رسول الله تعالى إليهم، وأنّه أمينٌ في أداء الأمانة، فلا ينقص منها ولا يزيد فيها ولا يألو جهداً في إبلاغها، فعليهم أن يطيعوه عليه السّلام. ويبيّن عليه السّلام لقومه أنّه لا يسألهم أدنى أجرٍ رغم أنّه يقوم بأعظم عملٍ وأخطر مهمّة، وأنّ أجره على الله تعالى وحده لا شريك له، ربّ العالمين، الّذى له وحده دون

سواه الخلق والأمر. ويؤكّد عليه السّلام حثّه قومه على تقوى الله تعالى وطاعته عليه السّلام لأنّه مبلّغٌ رسالة ربّه عزّ وجل. ويستنكر الملأ والكبراء أن يطلب نوحٌ عليه السّلام منهم أن يؤمنوا له ويخضعوا في الوقت الّذى لا يتّبع نوحاً عليه السّلام إلاّ الفقراء والضّعفاء والبسطاء من النّاس الّذين تزدريهم العين وتحتقرهم النّفس! ولمّا كان المطلوب من الرّسول النّصح في تبليغ الرّسالة والأمانة بإيصالها كاملةً غير منقوصة والاكتفاء بظاهر النّاس فإنّه عليه السّلام يقول للملأ من قومه إنّ مهمّته تقف عند ظاهر النّاس ولا تتعدّاه، فمن أعلن الإيمان بلسانه وعمل بجوارحه موجبات الإيمان يكتفى نوحٌ عليه السّلام منه بذلك، وليس نوحٌ عليه السّلام مسئولاً عمّا يعمل في الخفاء ذلك الّذى أعلن إيمانه، فإنّما حسابه على الله تعالى الّذى يعلم السّرّ وأخفى. وليت الملأ يعلمون تلك المعانى ويدركون أبعادها ويهتمّون باللّبّ والجوهر وليس بالقشر والمظهر. ويعلن عليه السّلام على رءوس الأشهاد بأنّه لن يطرد المؤمنين بحالٍ من الأحوال كي يحلّ محلّهم الملأ. وليعلم النّاس جميعاً أنّ مهمّة نوح عليه السّلام تقف عند الإنذار الواضح، وقد فعل عليه السّلام ذلك، أمّا الحساب فإنّه على الله تعالى وحده لا شريك له.

ويصرّ قوم نوحٍ عليه السّلام على الكفر والتّكذيب والصّدّ عن سبيل الله تعالى، ويهدّدونه عليه السّلام بأنّه إن لم يكفّ عن دعوته لهم إلى توحيد الله تعالى فإنهّم سوف يرجمونه بالحجارة حتّى الموت. ويشكو نوحٌ عليه السّلام قومه المكذّبين إلى بارئه جلّ وعلا، ويسأل الله تعالى أن يحكم بينه وبينهم بالحقّ، وأن ينجّيه ومن معه من المؤمنين وكانوا قليلين. ويستجيب الله تعالى دعاء نوحٍ عليه السّلام، وينجّيه ومن معه في السّفينة المملوءة، ويغرق عزّ وجل الباقين خارج السّفينة الكافرين.

إنّ في إغراق الله تعالى قوم نوحٍ عليه السّلام بالطّوفان، وإنجاء نوحٍ عليه السّلام ومن كان معه في السّفينة، لآيةً دالّةً على قدرة الله تعالى، فعلى كفّار مكّة

أن يأخذوا حذرهم، وإلا فإنّ سنّة الله تعالى في المكذّبين ماضيةٌ بشأنهم. وما كان أكثر أهل مكّة مؤمنين رغم كلّ تلك الآيات والنّذر. وإنّ ربك يا محمّد لهو العزيز المنتقم من كلّ متكبّرٍ لا يؤمن بيوم الحساب، الرّحيم الّذى وسعت رحمته كلّ شيءٍ وحيّ.

(٥)

((كذّبت عادٌ فأهلكها الله تعالى بريحٍ صرصرٍ عاتية))

الآيات (١٢٣-١٤٠)

بعد حديث السّياق عن قوم موسى عليه السّلام للتّشابه الكبير بين ملابسات الدّعوتين الموسويّة والمحمّديّة، وعن قوم إبراهيم عليه السّلام الّذى بعث الله تعالى محمّداً ﷺ بالنّسخة الكاملة والأخيرة من حنيفيّته السّمحة عليه السّلام يتحوّل السّياق إلى الحديث عن قوم نوحٍ عليه السّلام أوّل رسولٍ أرسله الله تعالى إلى الخلق. ثمّ كان الحديث عن عادٍ قوم هودٍ عليه السّلام الّذى يتأخّر زمناً، وبذلك يتبيّن في السّياق التّرتيب التّأريخيّ.

لقد كذّبت عادٌ هوداً عليه السّلام رسول الله تعالى إليها، وفي تكذيب هودٍ عليه السّلام تكذيب لكلّ المرسلين لأنّ رسالتهم واحدة، ومن هنا جاءت لفظة المرسلين في صيغة الجمع. لقد كذّبت عادٌ حين قال لهم أخوهم نسباً هودٌ عليه السّلام ألا تتّقون عذاب الله تعالى بالإيمان وعمل الصّالحات. إنّى لكم رسولٌ من ربّ العالمين أمينٌ في تبليغ الرّسالة وتأدية الأمانة. فاتّقوا الله تعالى ببلوغ مرتبة التّقوى وأطيعونى فيما آمركم به وأنهاكم عنه. وما أسألكم على تبليغى من جزاءٍ وثواب. ما جزائى وثوابى إلاّ على الله تعالى ربّ العالمين. ولمّا كانت عادٌ تتيه بقوّتها ولا تشكر لله تعالى تلك النّعمة، فإنّ هوداً عليه السّلام يسأل قومه كافرى النّعمة في إنكار : أتبنون بكلّ مكانٍ مرتفعٍ وموضعٍ مهمّ آيةً تعبثون وبنياناً تلعبون،

لأنكم لا تنتفعون بشيءٍ من ذلك إنّما تريدون نباهة الذّكر وحُسْنَ الأُحدوثة. وتتخذون مصانع، وتبنون حصوناً مشيدة، وقصوراً شديدة، ومباني جديدة، كأنكم تخلدون. وإذا سطوتم سطوتم جبّارين قتلاً بالسيوف وضرباً بالسّياط. فاتقوا الله تعالى بالامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أبلّغكم عن ربيّ عزّ وجلّ، بأن تشكروا لا أن تكفروا. إنّ عليكم أن تتّقوا الله تعالى الّذى أنعم عليكم بالأنعام والبنين والحدائق والعيون. إنّى أخاف عليكم إن كفرتم نعم الله تعالى عذاب يومٍ عظيمٍ في الأولى والآخرة.

لقد أصرّت عادٌ على كفرها وكفرانها فقالت لهودٍ عليه السّلام : يستوى عندنا وعظك لنا وتركنا. ليس هذا الّذى خوّفتنا به من الهلاك الّذى حلّ بالسّابقين إلاّ عادتهم وديدنهم. إنّ الدّهر يسوء تارات ويسرّ تارات، وليس ذلك الهلاك إلاّ من عادات الدّهر وتقلّباته، وما نحن بمعذّبين، لأنّا نؤمن بربّ العالمين الّذى خلقنا وربّانا بنعمه، وكلّ الّذى نفعله هو أنّا نشرك مع الله تعالى في العبادة سواه!.

لقد أصرّت عادٌ على الكفر والتّكذيب فأخذهم الله تعالى أخذ عزيزٍ مقتدر. إنّ في ذلك الهلاك لآيةً دالّةً على قدرة الله تعالى الّذى أرسل محمّداً ﷺ بالهدى ودين الحقّ. وما كان أكثر أهل مكّة مؤمنين رغم كلّ هذه الآيات والنّذر. وإنّ ربّك يا محمّد لهو العزيز القهّار للكافرين، الرّحيم الّذى وسعت رحمته كلّ شيءٍ وحيٍّ وبخاصّةٍ المؤمنون.

(٦)

((كذّبت ثمود فأهلكها الله تعالى بصاعقة العذاب المهين))

الآيات (١٤١-١٥٩)

أرسل الله تعالى صالحاً عليه السّلام إلى ثمود الّذين يتأخّرون عن عادٍ زمناً، وقد تحدّث السّياق عن ثمود بعد عاد وجمع بين الفريقين جرياً على عادة القرآن

الكريم في الجمع بينهما. لقد كذّبت ثمود صالحاً عليه السّلام رسول الله تعالى إليها. وفي تكذيبه عليه السّلام تكذيبٌ لكلّ الرّسل الكرام لأنّ رسالتهم واحدة. لقد كذّبوه عليه السّلام وهو أخوهم نسباً لأنّه عليه السّلام من القبيلة ذاتها وكفروا بنعمة الله تعالى حين حثّهم عليه السّلام على اتّقاء عذاب الله تعالى بالإيمان وعمل الصّالحات، وحين بيّن لهم أنّه رسولٌ من ربّ العالمين، أمينٌ في تبليغ الرّسالة وتأدية الأمانة، وحين حثّهم على بلوغ مرتبة التّقوى، وعلى طاعته فيما آتاهم بأمرٍ من الله تعالى، وفيما نهاهم عنه. ويبيّن عليه السّلام لقومه أنّه لا يسألهم على تبليغ الرّسالة أدنى أجر رغم أنّه عليه السّلام يقوم بأهمّ عمل. إنّ أجره على الله تعالى وحده لا شريك له. وتجاه إصرار ثمود على كفران النّعم يطرح عليه السّلام سؤالاً تقريعيّاً على قومه منكراً عليهم أن يظنّوا إمهال الله تعالى لهم إهمالاً وأن يعتقدوا بقاء النّعم مع كفرانهم لها واستمرار الخيرات الّتى هم فيها من أمن، وحدائق، وعيون ماء، وزروع، ونخل ثمرها المنضود الّذى يطلُع ويظهر غايةً في اللّين والرّطوبة حتّى إنّه ليتكسّر لركوب بعضه بعضاً أو لمسّ الأيدى إيّاه. ووراء ذلك هم من القوّة وهدوء البال ينحتون من الجبال بيوتاً حاذقين متقنين لصنعها. ويؤكّد عليه السّلام الأمر بتقوى الله تعالى وبطاعته فيما يبلّغهم عن ربّهم جلّ وعلا، كما ينهاهم عن طاعة المسرفين على أنفسهم بارتكاب المعاصى، الّذين يفسدون في الأرض بعمل السّيّئات، ولا يصلحون بعمل الحسنات.

أصرّ القوم على التّكذيب وقالوا له عليه السّلام ما أنت إلاّ شخصٌ قد غلبت قواه العقليّةَ قوىً خفيّةٌ شرّيرة سحرته وغلبته وقهرته. إنّه عليه السّلام ليس سوى بشرٍ مثلهم يأكل ممّا يأكلون منه ويشرب ممّا يشربون منه، وليس له أدنى فضل عليهم، فإن كان صادقاً في زعمه أنّه رسول ربّ العالمين فليأتهم بآيةٍ دالّةٍ على ذلك. ويعيّن القوم نوع الآية وهي النّاقة الّتى تخرج من صخرةٍ أشاروا إليها فخرجَتْ بإذن الله تعالى النّاقة الّتى قال لهم عليه السّلام بشأنها: هذه ناقةٌ لها نصيبٌ من الماء في يوم، ولكم نصيبٌ من الماء في يوم آخر، ولا تمسّوها بأدنى أذى

فيأخذكم عذاب يوم عظيم. لقد عمل الأشقياء بعكس النّصيحة، فعقروا النّاقة، فأصبحوا نادمين حيث لا ينفع النّدم، فأخذهم عذاب الله تعالى بالصّاعقة.

إنّ فيما جرى لثمود لآيةً دالّةً على قدرة الله تعالى، وما كان أكثر أهل مكة مؤمنين. وإنّ ربّك يا محمّد هو العزيز القهّار لأعدائه، الرّحيم البَرّ بأوليائه.

(٧)

((أصرّ قوم لوطٍ عليه السّلام على التّكذيب وإتيان المنكر فدمّرهم الله تعالى تدميرا))

الآيات (١٦٠-١٧٥)

بعد أن ذكر السّياق ثمود الّتى تأتي في القرآن الكريم مع عادٍ عادةً في الذّكر يتحوّل السّياق إلى قوم لوطٍ عليه السّلام الّذين يشتركون مع ثمود في كون آثارهم باقيةً من أجل أن يأخذ كفّار مكّة العبرة. ولعلّ آثار قوم لوطٍ عليه السّلام الباقية هي السّبب في ذكر القوم بعد ثمود، ثمّ إنّ إبراهيم ولوطاً عليهما السّلام المتعاصرين يتأخّران زمناً عن عادٍ وثمود.

لقد أصرّ قوم لوطٍ عليه السّلام على التّكذيب حين قال لهم أخوهم نَسَباً لوطٌ عليه السّلام هلاّ اتقيتم عذاب الله تعالى بالإيمان وعمل الصّالحات. إنّى رسولٌ لكم من الله تعالى أمينٌ في تبليغ الرّسالة وتأدية الأمانة. وإنّ عليكم أن تبلغوا مرتبة التّقوى الوجه الآخر للإحسان وأن تطيعونى فيما آمركم به وأنهاكم عنه بإذنٍ من الله تعالى وأمر. وأنا لا أسألكم على التّبليغ أدنى أجر، إنّ أجري على الله تعالى وحده لا شريك له. ولمّا كان قوم لوطٍ يعلون الرّجال فإنّه عليه السّلام يسألهم في إنكار : أتأتون الذّكران من بنى آدم وتتركون ما خلق الله تعالى لكم من نسائكم حيث المتعة وتحقيق النّسل. بل أنتم معتدون متجاوزون الحلال إلى الحرام. أصرّ قوم لوطٍ عليه السّلام على إتيان المنكر وأنذروه بأنّه إن لم ينته عليه السّلام عن

دعوتهم إلى التّوحيد والتّشنيع عليهم وكشف سوءاتهم ليكوننّ من المطرودين من قريتهم سدوم، ويلحق به أتباعه المؤمنون الّذين سينالهم الطّرد من جميع القرى! قال لوطٌ عليه السّلام لقومه : إنّى لعملكم القبيح من المبغضين له أشدّ البغض. ولمّا كان ربّ العزّة والجلال حينما يأخذ الظّالمين بالعذاب يأخذ معهم الّذين لم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر فإنّ لوطاً عليه السّلام الّذى بلّغ الرّسالة وأدّى الأمانة يدعو الله تعالى ألاّ يجعله مع القوم الظّالمين، وأن ينجّيه هو وأهله برحمته عزّ وجلّ ممّا يعمل الظالمون وممّا يستحقّون من العذاب. ويستجيب الله تعالى دعاء لوطٍ عليه السّلام وينجّيه هو وأهله من العذاب المهين إلاّ عجوزاً هي زوج لوطٍ عليه السّلام فإنّها كانت من الباقين في العذاب المهلكين. ثمّ دمّر الله تعالى الآخرين تدميراً، وقلب قراهم رأساً على عقب، وأمطر عليهم حجارةً من السّماء، فبئس مطر المنذرين. إنّ فيما حدث لقوم لوطٍ عليه السّلام لآيةً دالّةً على قدرة الله تعالى، فإنّ آثار القوم باقية، وما كان أكثر أهلُ مكّة مؤمنين وإنّ ربّك يا محمّد لهو العزيز القهّار للكافرين الرّحيم بالمؤمنين.

(٨)

((أصرّ قوم شعيبٍ عليه السّلام على التّكذيب والإفساد في الأرض فأخذهم عذاب يوم الظّلّة))

الآيات (١٧٦-١٩١)

شعيبٌ عليه السّلام هو الّذى تزوّج موسى عليه السّلام إحدى ابنتيه، وبذلك يكون شعيبٌ عليه السّلام آخر كوكبة الرّسل الكرام في السّورة الكريمة زمناً وذكرا. لقد كذّب أصحاب الغيضة من سكّان مدين شعيباً عليه السّلام أخاهم نَسَبا. وفي تكذيبهم له عليه السّلام تكذيبٌ لكلّ المرسلين. لقد كذّب أصحاب الأيكة شعيباً

عليه السّلام حين حثّهم على اتّقاء عذاب الله تعالى وأخبرهم أنّه رسول ربّ العالمين إليهم وأنّه أمينٌ في أداء الأمانة. بل إنّه حثّهم على بلوغ مرتبة التّقوى وأن يطيعوه فيما جاءهم به من ربّه عزّ وجلّ بفعل الأوامر واجتناب النّواهي. وإنّ شعيباً عليه السّلام شأنه شأن سائر النّبيّين والمرسلين الّذين لا يسألون على دعوتهم إلى الله تعالى أدنى أجرٍ فإنّ أجرهم على الله تعالى ربّ السّماوات والأرض ربّ العالمين وحده دون سواه. ولمّا كان قوم شعيبٍ عليه السّلام يأكلون أموال النّاس بالباطل ويسرقون وينهبون ويقطعون الطّريق فقد نهاهم عليه الصّلاة والسّلام عن ارتكاب كلّ تلك الموبقات. لقد أمرهم بإيفاء الكيل والوزن ونهاهم عن التّطفيف، وعن نقص النّاس أشياءهم وبخسهم حقوقهم وعن العيث في الأرض فسادا، وأمرهم بأن يتّقوا الله تعالى خالقهم وخالق آبائهم والخلق الأوّلين.

أصرّ أصحاب مدين على الكفر والتّكذيب واتّهموه عليه السّلام بأنّه شخصٌ قد غلب كثيراً على قواه العقليّة قوىً سريّة شريرة، ثمّ إنّه شخصٌ مثلهم يأكل ممّا يأكلون منه ويشرب ممّا يشربون منه، فكيف يكون رسولاً من بينهم، إذن هو من الكاذبين في ادّعاء أنّه رسول. بل إنّ الجراءة بلغت بالقوم حدّ الاستهزاء باستعجال العذاب بدل سؤال الرّحمة والهداية فطلبوا منه أن يُسْقِط عليهم قِطَعاً من السّماء تعذّبهم وتهلكهم إن كان صادقاً أنّه رسول ربّ العالمين. قال شعيبٌ عليه السّلام لقومه ربّي أعلم بما تعملون فلا يخفى عليه شيءٌ ممّا تفعلون وتقولون وسيجزى كلاًّ بما يستحقّ. وأصرّ القوم على التّكذيب فأخذهم عذاب اليوم الّذى أظلّتهم فيه سحابةٌ ظنّوها عارضاً يمطرهم فكانت ناراً تحرقهم. لقد كان عذاب ذلك اليوم عظيماً حقّا. إنّ في ذلك العذاب لآية دالّةً على قدرة الله تعالى وعبرةً لأهل مكّة، وما كان أكثر أهل مكّة بمؤمنين رغم كلّ هذه الآيات والعبر. وإنّ ربّك يا محمّد لهو العزيز في ملكه القهّار للكافرين الرّحيم بالمؤمنين. ثمّ يأتي القسم الأخير من السّورة الكريمة.

(٩)

((القرآن الكريم تنزيل السّميع العليم، على قلب النّبيّ ﷺ لينذر به، وليس قولَ كاهنٍ ولا شاعر))

الآيات (١٩٢-٢٢٧)

ابتدأت سورة الشّعراء المكّيّة الكريمة بالحروف المقطّعة : ﴿طسم﴾ الّتى جاء إثرها الانتصار للقرآن الكريم أسوةً بسائر السّور الكريمة الّتى ابتدأت بهذه الحروف المقطّعة. ثمّ كان التّحذير للنّبيّ ﷺ أن يقتل نفسه حَزَناً لإعراض قومه عليه الصّلاة والسّلام عن دعوته، وإصرارهم على ذلك الإعراض بباعث العناد لا نقص الحجّة. وبيّن السّياق أنّ ربّ العزّة والجلال لو شاء أن ينزّل على المعرضين آيةً محسوسةً من السّماء ترغمهم على الخضوع والإيمان لفعل ولكنّه عزّ وجلّ لم يشأ، إنّما شاء عزّ وجلّ أن يذكر لهم أنباء الأمم السّابقة الّتى أصرّت على تكذيب رسل الله تعالى فأهلكها كي يأخذ القوم العبرة. وكذلك لفت السّياق انتباه المعرضين إلى الأرض الّتى أنبت الله تعالى فيها من كلّ زوجٍ من النّبات كريم. وحينما لا ينتفع كفّار مكّة بآي الذّكر الحكيم وهم أئمّة البيان فمن باب الأولى ألاّ ينتفعوا بآيات الأزواج من النّبات في الأرض. وهكذا سكتت السّورة الكريمة عن إنزال الآية المحسوسة من السّماء، كما اكتفت بالإيماءة إلى ما أنبت الله تعالى في الأرض من كلّ صنف بهيج وزوجٍ كريم، وتوالت آياتها البيّنات في ذكر عاقبة كلّ أمّة كذّبت رسول الله تعالى إليها فأخذها الله تعالى أخذ عزيزٍ مقتدر، على النّحو الّذى مرّ بنا. ثمّ كان هذا القسم الأخير الّذى يُعْتَبَرُ القرآن الكريم والذّكر المحدث محوره، وذلك على غرار القسم الأوّل من السّورة الكريمة، وبذلك يعود الحديث عن القرآن الكريم على بدئه، ويكون محور الحديث واحداً في أوّل السّورة الكريمة وآخرها، بدايتها ونهايتها، إنّه القرآن الكريم، تنزيل ربّ العالمين.

يقرّر السّياق أنّ القرآن الكريم تنزيل ربّ العالمين. نزل به الرّوح الأمين جبريل

عليه السّلام على قلب المصطفى ﷺ، ليكون من المنذرين الكافرين والعاصين، بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ عن معناه وفحواه. وإنّ القرآن الكريم مذكورٌ في الكتب السّماويّة السّابقة كالتّوراة والإنجيل. أو لم يكن لكفّار مكّة آيةً دالّةً على ذلك أن يعلمه علماء بنى إسرائيل العادلون الّذين أسلموا كعبد الله بن سَلاَم. ولو نزّل الله تعالى القرآن الكريم على بعض الأعجمين الّذين لا يعرفون العربيّة، فقرأ القرآن الكريم العربّى المبين على أهل مكّة ما كانوا به مؤمنين أَنَفةً واستكبارا. وكما أدخل الله تعالى عدم الإيمان في قلوب أهل مكّة لو قرأه عليهم ذلك الأعجميّ أدخل الله تعالى عدم الإيمان في قلوب أولئك الكافرين فلا يؤمنون بالقرآن الكريم حتّى يروا العذاب الأليم عِيانا. فيأتيهم العذاب فجأةً وهم لا يعلمون بوقوعه، فيقولوا هل نحن مؤخَّرون لتوبةٍ أو مَعْذِرة.

وحينما يتأخّر العذاب يستعجل به أولئك المعاندون على جهة الاستهزاء والاستبعاد. أفرأيت يا محمّد إن متّعنا الكافرين في هذه الحياة بضع سنين. ثمّ جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب. أيُّ شيءٍ أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون ما داموا لم يستفيدوا من فترة الإمهال بل استزادوا من الآثام.

والله تعالى ما أهلك من قريةٍ إلاّ لها منذرون لأجل العظة، وما كان ربّنا ليظلم مثقال ذرّة، حتّى أنزل القرآن الكريم على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين. والقرآن الكريم ما تنزّلت به الشّياطين وعصاة الجنّ، وما ينبغى ولا يصلح لهم، ولو صلح لهم ما استطاعوا الوصول إليه. إنّهم عن السّمع وعن مكان القرآن الكريم لمعزولون ومطرودون.

فلا تدع يا محمّد مع الله تعالى إلهاً آخر فتكون من المعذّبين: وأنذر أهلك وقومك الأقربين. وألن جانبك لمن اتّبعك من المؤمنين. فإن عصوك وأعرضوا عنك فقل إنّى برىءٌ ممّا تعملون من آثام. وتوكّل يا محمّد على الله تعالى العزيز في ملكه القهّار للكافرين الرّحيم بالمؤمنين، الّذى يراك حين تقوم للصّلاة، وتصرّفك في السّاجدين إماماً لهم قائماً وراكعاً وساجداً وقاعدا. إنّه عزّ وجلّ هو السّميع

لكلّ قول، العليم بكلّ نيّة وفعل.

هل أنبّئكم على من تتنزّل الشّياطين. تتنزّل على كلّ كثير الكذب في أقواله، كثير الفجور في أفعاله. يلقون السّمع الّذى سرقوه أو الكلمة لأوليائهم من الكهنة والسّحرة. وأكثر هؤلاء الكهنة والسّحرة كاذبون لأنهّم يضيفون إلى الكلمة الّتى تلقّوها مائة كَذْبة.

وشعراء الكافرين الظّالمون يتبعهم الغاوون من أمثالهم من شياطين الإنس والجنّ لأنّ الكفر ملّةٌ واحدة. ألم تر أيّها الإنسان أنّهم في كلّ أودية القول يخوضون بالحقّ وبالباطل. وأنّهم يقولون ما لا يفعلون بل يكذبون في أقوالهم.

أمّا شعراء المسلمين فإنّهم لهم نعوتهم الخاصّة بهم. إنهّم يؤمنون بالله تعالى وبالرّسول الكريم وبالقرآن العظيم، ويعملون الصّالحات، ويذكرون الله تعالى ذكراً كثيراً في الصّلاة وغير الصّلاة، وينتصرون لأنفسهم من بعد ظلم الظّالمين لهم وبغي الباغين عليهم، بمعنى أنّهم لا يبدأون بالظلم والعدوان.

وإذا كان انتصار المؤمنين المتّقين على المشركين الظّالمين نوعاً من عذاب الدّنيا، فإنّ عذاب الله تعالى الّذى ينتظرهم حينما يرجعون إليه عزّ وجلّ أشدّ وأنكى. إنّهم بعد الموت سوف يعلمون ذلك العذاب على حقيقته.

وهكذا تتمشّى آخر معانى السّورة الكريمة مع المحور الّذى تدور حوله موضوعات السّورة وقضاياها، وهو عذاب الكافرين المعاندين في الأولى والآخرة.

التفسير

(١)

((الكافرون يصرّون على الإعراض عن كلّ آيات الله تعالى المعنويّة والماديّة))

الآيات (١ – ٩)

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾

تبدأ السّورة الكريمة بالحروف المقطّعة : ﴿طسم﴾ الّتى تتألف منها الآية الكريمة الأولى. وسورة الشّعراء المكّيّة الكريمة إحدى السّور التّسع والعشرين الّتى تبدأ بهذه الحروف المقطّعة، ابتداءً بسورة البقرة. وما قيل عن سورة البقرة يقال هنا. وممّا قيل بشأن هذه الحروف المقطّعة إنّها امتدادٌ للتّحدّى بالقرآن الكريم، فهي تؤمىء إلى إعجاز القرآن الكريم الّذى تتألّف كلماته من هذه الحروف الّتى تتألّف منها الكلمات الّتى ينطق بها العرب الّذين نزل القرآن الكريم بلسانهم، ولكنّ القرآن الكريم نسيجُ وَحْدِه.

والآية الكريمة الأخرى تتحدّث عن القرآن الكريم. وبذلك تتّصف هذه السّورة الكريمة بالصّفة الّتى تتّصف بها سائر السّور الكريمة الّتى تبدأ بهذه الحروف المقطّعة وتتحدّث عن القرآن الكريم على الفور أو على التّراخى. وإنّ حديث الآية الكريمة عن القرآن الكريم قوّةٌ للرّأي الّذى يذهب إلى أنّ الحروف المقطّعة امتدادٌ للتّحدّى بالقرآن الكريم.

والآية الكريمة تشير باسم الإشارة الدّالّ على البعد : ﴿تلك﴾ وتنبّه إلى رفيع منزلة آي هذا الكتاب العزيز. ويوصف الكتابُ العزيز بأنّه مبين، أي واضح المعانى، مبينٌ للحقّ والباطل، الحلال والحرام، الخير والشّرّ، كي يُتّبَعَ الحقّ والحلال والخير، وكي يهجر الباطل والحرام والشّرّ.

لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾

لعلّك باخعٌ نفسك ألاّ يكونوا مؤمنين : لعلّك يا محمّد قاتلٌ نفسك ومهلكها إن لم يؤمن قومك بك ويصدّقوك على ما جئتهم

بـه [1] والبَخْعُ قتل النفس غمّاً[2] والمصدر المؤوّل : ﴿ألاّ يكونوا﴾ في مـحلّ جرٍّ بحرف جرٍّ محذوفٍ متعلّقٍ بباخع، أي : من عدم إيمانهم[3] ولعلّ هنا للإشفاق، أي أشفقْ عليها بتخفيف هذا الغمّ[4].

لمّا كان المصطفى ﷺ يكاد يقتل نفسه غمّاً لإعراض قومه عليه الصّلاة والسّلام عن دعوته فإنّ الآية الكريمة، إشفاقاً عليه وتسليةً له عليه الصّلاة والسّلام، كأنّها تقول له عليه الصّلاة والسّلام، إنّما عليك البلاغ وقد فعلت، وعلينا الحساب. أُرفق بنفسك يا محمّد ولا تقتلها غمّاً لعدم إيمان قومك بك، وعدم تصديق الكتاب المبين الّذى أوحيته إليك، وخصصتك به.

إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾

إن نشأ ننزّل على الّذين أعرضوا عن القرآن الكريم آيةً محسوسة ترغمهم على الإيمان بالله تعالى وتصديق رسوله ﷺ ومن ثمّ تخضع لتلك الآية أعناق الكافرين، وينقادون لها ذليلين صاغرين.

ويلاحظ أنّ جملة : ﴿فظلّت﴾ تجيء في صيغة الزّمن الماضى، وكأنّ الآية المحسوسة قد نزلت فعلاً وأرغمت المعرضين على الإذعان، والكافرين على الإيمان. وإنّ في الالتفات إلى الزّمن الماضى لفتاً للانتباه إلى عظيم قدرة الله تعالى الّتى لو شاءت إنزال تلك الآية لفعلت ولكنّها لم تشأ.

ولمّا كانت الأعناق للعاقلين فقد جاء القول : ﴿خاضعين﴾ مشيراً إلى أولئك العاقلين المكلّفين.

وإنّما لم يُنزِل الحقّ جلّ وعلا تلك الآية المحسوسة لأنّ ربّ العزّة والجلال أراد للمكلّفين أن يكون إيمانهم اختياراً لا اضطراراً، كي يثابوا على الإيمان ويعاقبوا

(١) تفسير الطبرى ١٩/ ٣٧.

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : «بخع» ١/ ٤٨.

(٣) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٩/ ٣١٧.

(٤) الجلالين.

على الكفر. ثمّ إنّ الكافرين إنّما كان إعراضهم عناداً وليس بباعث الحاجة للمزيد من الأدلّة والبراهين، لأنّهم أئمّة البيان، وكان القرآن الكريم، وهو معجزة المصطفى ﷺ الكبرى، آيةً بيانيّة. وحينما يعرض أئمّة البيان عن المعجزة البيانيّة فذلك دليلٌ على أنّهم أشدّ إعراضاً عن كلّ معجزةٍ حسّيّةٍ أخرى تقلّ عن القرآن الكريم حجّةً وإقناعا.

وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾

مُحْدَث : المُحْدَث ما أوجد بعد أن لم يكن[1] ويقال لكلّ ما قرُب عهده مُحْدَث، فعلاً كان أو مقالاً[2] ومحدث : أي جديد إنزاله[3].

لم يشأ الحقّ جلّ وعلا أن ينزل آيةً حسّيّةً ترغم الكافرين على أن يؤمنوا، إنّما شاء أن تنزل آي الذّكر الحكيم تباعاً خلال مدّةٍ تصل إلى ثلاثٍ وعشرين سنة. وقد أصرّ الكافرون على إعراضهم وعنادهم. إنّهم ما يأتيهم من ربّهم جلّ وعلا رحمن الدّنيا والآخرة، من قرآن كريم يذكّرهم بربّهم جلّ وعلا وبما هو لهم أو عليهم، إلاّ كانوا عن كلّ ذلك معرضين، تمادياً في العناد، وإصراراً على الكفر والصّدّ عن سبيل الله تعالى.

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «حدث» ١/ ١٤٤.

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «حدث» ١/ ١٤٤.

(٣) تفسير بن كثير ٥/ ٣٢٥ في تفسير الآية الكريمة من سورة الأنبياء

فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾

فقد كذّبوا : الفاء تعليليّة. قد حرف تحقيق[١].

فسيأتيهم : الفاء رابطةٌ لجواب شرط مقدّر[٢].

على الرّغم من نزول آى الذّكر الحكيم باستمرارٍ على المصطفى ﷺ فقد أصرّ الكافرون على تكذيب آي الذّكر الحكيم والرّسول الكريم ﷺ. وإنّ الله تعالى الحليم الرّحيم يمهل ولكن لا يهمل. ويُهَدَّد الكافرون بأنّهم إذا أصرّوا على التّكذيب فسيأتيهم قريباً النّبأ الخطير بحلول العذاب الّذى كانوا يستهزئون به ويستعجلونه. وهذا العذاب قد يكون في الدّنيا، وما أقرب ذلك العذاب. وسيكون في الآخرة، وما أقصر العُمُرَ ولو طال، بالقياس إلى خلود المكذّبين في نار جهنّم.

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾

من كلّ زوج : الزّوج بمعنى النّوع[٣] ويقال لكلّ واحدٍ من القرينين من الذّكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة زوج، ولكلّ قرينين فيها وفي غيرها زوج، كالخفّ والنّعل، ولكلّ ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاداً زوج[٤] وقوله تعالى[٥] : ﴿سبحان الّذى خلق الأزواج كلّها ممّا تنبت الأرض ومن أنفسهم وممّا لا يعلمون﴾ وقوله تعالى[٦] : ﴿ومن كلّ شيءٍ خلقنا زوجين لعلّكم تذكّرون﴾.

---

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٩/ ٣١٨.

(٢) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٩/ ٣١٨.

(٣) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «زوج» ١/ ٢٨٥.

(٤) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «زوج» ١/ ٢٨٤.

(٥) سورة يس ٣٦.

(٦) سورة الذّاريات ٤٩.

كريم : يعنى بالكريم الحسن، كما يقال للنّخلة الطّيّبة الحمل كريمة، وكما يقال للشّاة أو النّاقة إذا غزرتا فكثرت ألبانهما ناقةٌ كريمةٌ وشاةٌ كريمة[1].

مأساة كفّار مكّة ومن شاكلهم أنّهم لا يستطيعون أن يتصوّروا البعث يوم القيامة بعد أن غدت أجسادهم تراباً، وعظامهم رميما. وإنّ الآية الكريمة تلفت انتباه عمي البصائر إلى مظهرٍ من مظاهر القدرة المطلقة لله سبحانه وتعالى ذى علاقةٍ وثيقةٍ بإحياء الموتى. أمّا هذا المظهر فهو إحياء الله تعالى الأرض الميتة المجدبة بالماء فتنبت من كلّ زوجٍ كريمٍ وصنفٍ بهيج، بإذن الله تعالى.

إنّ الآية الكريمة تقرّع الكافرين وتوبّخهم في أسلوب الاستفهام فتسأل : أعميت أبصار القوم وبصائرهم ولم يروا إلى الأرض وينظروا إلى الأنواع الحسنة الكريمة من النّباتات الّتى لا يكاد يأتى عليها الحصر. إنّ هذه الأصناف والأزواج الّتى تشتهيها الأنفس وتلذّها الأعين من النّبات والزّرع قد أخرجها الله تعالى القادر على كلّ شيءٍ من الأرض الميتة الّتى أحياها الله تعالى بالماء. وإنّ واجب الكافرين أن يروا ويعتبروا. والمعروف أنّ رأى إذا عُدّي بإلى اقتضى معنى النّظر المؤدّى إلى الاعتبار[2].

وكما يفيد لفظ الزّوج معنى النّوع والصّنف يفيد معنى الثّنائيّة والزّوجيّة. إنّ مخلوقات الله تعالى في الأرض تتدرّج صُعُداً من الجماد إلى النّبات إلى الحيوان إلى الإنسان. وإذا كانت الزّوجيّة واضحةً في كلٍّ من الإنسان والحيوان، فإنّ العلماء قد أدركوها في كلٍّ من النّبات والجماد. إنّ النّبات يتألّف من ذكرٍ وأنثى : وحينما يكون ثمّة نوعٌ واحدٌ منه فإنّ هذا النّوع الواحد يحمل خصائص النّوعين معاً، الذّكر والأنثى.

فسبحان الله تعالى وَحْدَه هو الواحد الّذى لا شريك له.

---

(١) تفسير الطّبرى ١٩/ ٣٩.

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «رأى» ١/ ٢٧٦.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾

إنّ في خلق الله تعالى أصناف النّبات ومن كلّ الثّمرات زوجين اثنين لآيةً عظيمةً دالّةً على القدرة المطلقة لله سبحانه وتعالى. إنّ المنتظر من النّاس الّذين أكرمهم الله تعالى بنعمة العقل أن يبادروا إلى الإيمان واعتناق دين الإسلام الّذى بعث الله تعالى به خير الأنام ﷺ وأنزل عليه خير الكلام، الكتاب العزيز الّذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد. إنّ الحسرة لا تكاد تنتهى على العباد الّذين لم يكن أكثرهم مؤمنين بل كافرين.

إنّ ربّك يا محمّد ويا أيّها الإنسان هو العزيز في ملكه الغالب للكافرين الّذى يخزيهم في الأولى والآخرة، وهو الرّحيم بالمؤمنين المتقين، النّاصر لهم في الأولى، المجازى لهم في الآخرة.

(٢)

((نجاة موسى عليه السّلام
وبنى إسرائيل
وغرق فرعون وآله وجنده))
الآيات (١٠ – ٦٨)

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾

واذكر يا محمّد إذ نادى ربّك جلّ وعلا، من جانب جبل الطّور، في شبه جزيرة سيناء، موسى عليه السّلام، الّذى كان عائداً بأهله من مدين إلى مصر، بعد أن قضى عشر سنوات في مدين أجيراً عند صاحب مدين، مهراً لابنته. إنّ موسى عليه السّلام بعد أن قتل القبطيّ فرّ من مصر إلى مدين. وبعد أن قضى عليه السّلام عشر سنوات في مدين قرّر العودة إلى مصر الّتى قتل فيها القبطيّ، مستفيداً من القانون الوضعيّ الّذى يُسْقِط العقوبة بسبب التّقادم. وكانت سنّ موسى عليه السّلام حينما قتل القبطيّ ثلاثين سنة، وحينما عاد من مدين كانت سنّه عليه السّلام أربعين سنةً، وهي السّنّ الّتى يُبْعَثُ فيها عادةً من يصطفيه عزّ وجلّ من النّبيّين والمرسلين، عليهم جميعاً صلوات ربّ العالمين وسلامه.

إنّ ربّ العزّة والجلال ينادى موسى عليه الصّلاة والسّلام بالوادى المقدّس طوى في شبه جزيرة سيناء بأن يأتي عليه السّلام القوم الظالمين رسولاً من ربّ العالمين جلّ وعلا، إلى فرعون وقومه من القبط. إنّ فرعون وقومه قد ظلموا العبادة بصرفها عن الله تعالى إلى من لا يستحقّها، إلى فرعون طاغية مصر، كما ظلموا بنى إسرائيل قوم موسى عليه السّلام. وإنّ القول: ﴿ألا يتّقون﴾ يحثّ فرعون وقومه على بلوغ مرتبة التّقوى الوجه الآخر للإحسان بأن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك. وإنّ جملة: «أتى» من القول: ﴿أن ائت القوم الظّالمين﴾ تشير إلى بعد المسافة بين المكان الّذى فيه موسى عليه السّلام والمكان الّذى فيه فرعون وقومه، كما تشير ضمناً إلى صعوبة هذه المهمّة، تلك الصّعوبة الّتى يصحّ أن يعبّر عنها بالبعد النّفسيّ أو المعنويّ. والمعروف أنّ جملة: «أتى» تفيد في القرآن الكريم، بحسب القرائن، ثلاثة أنواعٍ من البعد، البعد الزّمانيّ، والبعد المكانيّ، والبعد النّفسيّ أو المعنويّ. وكأنّ القول: ﴿أن ائت القوم الظّالمين﴾ يومىء

إلى البعد المكانيّ أوّلاً، البعد النّفسيّ آخرا. والمعروف كذلك أنّ جملة: «جاء» تفيد هي الأخرى في القرآن الكريم، بحسب القرائن، ثلاثة أنواعٍ من القرب. إنّها بعكس جملة: «أتى» تماما.

والمعروف أنّ سورة القصص المكّيّة الكريمة، من السّور الكريمات الّتى فصّلت الحديث في هذه المرحلة المبكرة من حياة موسى عليه السّلام.

قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ
إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾

قال موسى عليه السّلام: يا ربيّ إنّى أخاف أن يكذّبنى فرعون الطّاغية وقومه الطّاغون الباغون، كما أنّى أخاف أن يضيق صدرى لإصرارهم على التّكذيب والصّدّ عن سبيلك ياربّى وأن أموت غمّاً وأسفاً قبل أن يجيء نصرك وفتحك ووعدك الحقّ، كما أنّى أخاف ألاّ ينطلق لسانى بالتّعبير عن الدّعوة إلى صراطك المستقيم كما ينبغى أن يكون التّعبير. إنكّ ياربّى قد استجبت دعائى فحللت عقدةً من لسانى ففقه من أدعوه إليك قولى، ولكنّ أخى هارون هو أفصح منّى لساناً، فأرسل جبريل إلي أخى هارون؛ معيناً لى بقوّته وفصاحته على تبليغ الرّسالة وأداء الأمانة. ثمّ إنّ لفرعون وقومه عليَّ دعوى ذنبٍ أذنبته إليهم بقتلي القبطيّ [1] فأخاف أن يقتلوني به.

---

(١) انظر تفسير الطّبرى ١٩/ ٤٠.